مجلة جامعة بخت الرضا المحكمة، ربع السنوية، العدد (46)، المجلد (1) سبتمبر 2026م
معامل التأثير العربي (1.25)
ISSN:[1858-6139],Online

تجلّيات الوسيط في شعر الغزل العربي القديم: دراسة وصفية تحليلية

سلوى عثمان أحمد
كلية الآداب، جامعة النيلين
Salwaosmann2000@gmail.com

تاريخ الاستلام:2026/08/12م تاريخ النشر:2026/09/30م

مستخلص

هدفت الدراسة إلى دراسة تجليات الوسيط في شعر الغزل العربي القديم، مع التركيز على الوسيط البشري، الطبيعي، والرمزي عبر العصور (الجاهلي، الأموي، العباسي، الأندلسي).عرّف الوسيط بأنه العنصر أو الكيان الذي ينقل الرسائل العاطفية ويجسد الحضور الغائب، بينما الوساطة هي العملية أو الفعل الذي يقوم به الوسيط. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة النصوص الشعرية المختارة، وتحليل دور الوسيط في نقل المشاعر، تعميق التجربة الغزلية، وإثراء الصورة الشعرية. أظهرت النتائج أن الوسيط كان أداة حيوية في الغزل العربي القديم، وأن كل عصر أضاف بعدًا جديدًا لتجلياته؛ فالجاهلي استخدم الوسيط الطبيعي والخيالي، الأموي أضاف البعد الزمني والمكاني، العباسي عمّق الرمزية النفسية، والأندلسي دمج الطبيعة بالحس الفني والجمالي.

كلمات مفتاحية: الوساطة، الوسيط، الوسيط الطبيعي، الرمزي، شعر الغزل.

Abstract

The study aimed to examine the manifestations of the intermediary in classical Arabic love poetry, focusing on human, natural, and symbolic intermediaries across different periods (Pre-Islamic, Umayyad, Abbasid, Andalusian). The intermediary is defined as the element or entity that conveys emotional messages and embodies the absent presence, while mediation refers to the action or process performed by the intermediary. The research employs a descriptive-analytical methodology to analyze selected poetic texts and explore the intermediary's role in conveying feelings, deepening the love experience, and enhancing poetic imagery. Results indicate that the intermediary played a crucial role in classical Arabic love poetry, with each era adding new dimensions: the Pre-Islamic era emphasized natural and imaginative intermediaries, the Umayyad era incorporated temporal and spatial aspects, the Abbasid era developed psychological symbolism, and the Andalusian era combined nature with aesthetic sensitivity.

Keywords: Mediation, Intermediary, Natural Intermediary, Symbolic, Love Poetry.

مقدمة

يُعدّ شعر الغزل من أخصب الفنون الشعرية في التراث العربي، لما يحمله من كثافة وجدانية وعمق إنساني يعكس علاقة الذات بالآخر في أرقّ صورها وأشدّها تأثيرا. ولم يكن التعبير عن العاطفة في الغزل فعلاً مباشراً دائما، بل ارتبط في كثير من صوره بعناصر تتوسّط بين العاشق والمعشوق، تؤدي دور الناقل أو الرابط أو المجسّد للمشاعر، وهو ما يمكن تسميته بـ"الوسيط" في بنيته الفنية والدلالية. قد تنوّعت تجلّيات هذا الوسيط في الشعر العربي القديم بين وسيطٍ بشريٍّ كالرسول والواشي، ووسيطٍ طبيعيٍّ كالنسيم والبرق والطيف، ووسيطٍ رمزيٍّ يتجاوز الحسيّ إلى الدلالي، مما يجعل دراسته مدخلًا مهمًّا لفهم البنية الداخلية للتجربة الغزلية وآليات التعبير فيها. فالوسيط لم يكن عنصرًا عابرًا في النص؛ بل أداة فنية أسهمت في تشكيل الصورة الشعرية، وتعميق الإحساس بالغياب، وتكثيف المعنى الوجداني. من هنا تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ(تجليات الوسيط في شعر الغزل العربي القديم) سعيا إلى تأصيل المفهوم نظريا، ثم تتبّع حضوره في نماذج مختارة من الشعر الجاهلي والأموي والعباسي والأندلسي، للكشف عن أبعاده الفنية والدلالية، ورصد تطوّره عبر العصور في ضوء التحليل الوصفيّ التحليليّ للنصوص.

مشكلة الدراسة: على الرغم من حضور الوسيط في شعر الغزل العربي القديم حضورا لافتا، فإن الدراسات النقدية لم تفرده – في حدود الاطلاع – بدراسة مستقلة تكشف عن تجلّياته وأنواعه ووظائفه الفنية عبر العصور. وغالبا ما ورد ذكره عرضا ضمن الحديث عن الصورة الشعرية أو الرمزية أو عناصر التواصل، دون الوقوف عنده بوصفه عنصرا بنائيا مؤثرا في تشكيل التجربة الغزلية. من هنا تتحدد مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: كيف تجلّى الوسيط في شعر الغزل العربي القديم؟ وتتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

1/ ما مفهوم الوسيط في اللغة والاصطلاح؟

2/ ما أبرز أنواع الوسيط في شعر الغزل العربي القديم) البشري، الطبيعي، الرمزي)؟

3/ ما الوظائف الفنية والجمالية التي يؤديها الوسيط داخل النص الغزلي؟

4/ كيف تطوّر حضور الوسيط واستخدامه من العصر الجاهلي إلى العصر الأندلسي؟

5/ إلى أي مدى أسهم الوسيط في تعميق البعد النفسي والتعبيري للتجربة الغزلية؟

أهمية الدراسة: تتجلّى أهمية هذه الدراسة في جوانب عدّة، من أبرزها:

1/ إبراز عنصرٍ فنيٍّ لم يُدرس دراسة مستقلة في حدود الاطلاع، رغم حضوره المؤثر في الغزل العربي.

2/ الإسهام في توسيع زاوية النظر إلى شعر الغزل من خلال تحليل آليات التواصل فيه.

3/ الكشف عن البعد الجمالي والدلالي للوسيط بوصفه أداةً لتكثيف المعنى وإبراز الشعور.

4/ تتبّع تطوّر التجربة الغزلية عبر العصور من خلال دراسة عنصرٍ مشترك بينها.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1/ تأصيل مفهوم الوسيط والوساطة لغةً واصطلاحًا.

2/ تحديد أنواع الوسيط في شعر الغزل العربي القديم.

3/ تحليل النماذج الشعرية للكشف عن الوظائف الفنية والدلالية للوسيط.

4/ رصد أوجه التطوّر في تجلّيات الوسيط عبر العصور الأدبية المختلفة.

5/ إبراز أثر الوسيط في تشكيل البنية التعبيرية للتجربة الغزلية.

منهج الدراسة: تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ يقوم على وصف الظاهرة (الوسيط) في النصوص الغزلية المختارة، ثم تحليلها للكشف عن أبعادها الفنية والدلالية.

الوسيط

الوسيط لغةً: جاء في لسان العرب أنّ "وسط الشيء" هو ما بين طرفيه، أي الموضع الواقع بين حدّين، ويُقال: "اجعلوني وسطًا" أي في موضعٍ بينكم أكون فيه محفوظًا ومصونًا، كما يقال: "وسّط الشيء" أي جعله في الوسط، و"التوسيط" إدخال الشيء بين غيره. كما يدلّ اللفظ على معنى الظرفية إذا سُكّنت السين، فيقال: وسْط القوم أي بينهم. (ابن منظور، 1414هـ، مادة: وسط). في المعجم الوسيط جاء : أن "وسط الشيء" صار في وسطه، ويقال: "توسّط بينهم" إذا دخل بينهم للإصلاح أو الحكم بالعدل، و"الوساطة" التوسّط بين القوم بالحقّ. (مجمع اللغة العربية، 1972م، مادة: وسط). يتّضح من هذين التعريفين أن الدلالة اللغوية لكلمة "الوسيط" تدور حول معنيين رئيسين: المكانية: ما كان بين طرفين. الوظيفية: القيام بدور الإصلاح أو الربط بين جهتين. فالوسيط في اللغة إذن ليس مجرد موضع بين شيئين ؛ بل هو أيضًا عنصر فاعل يحقّق الاتصال أو التوازن أو الحفظ.

الوسيط اصطلاحاً: ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة أن التوسّط هو اتخاذ شخصٍ واسطةً لقضاء حاجة، فيقال: "توسّط بفلان"، أي جعله وسيلةً بينه وبين غيره، ووسّط فلانًا" أي جعله وسيطا، كما يُقال: "توسّط في الأمر" إذا اعتدل فيه ولم يتطرّف. (أحمد مختار عمر، 2008م، ص 143). تُظهر هذه الدلالة الاصطلاحية أن الوسيط لم يعد مجرد موقعٍ بين طرفين ؛ بل صار عنصرا يؤدي وظيفةً محدّدة، تتمثّل في: نقل الطلب أو الرسالة. الإصلاح بين طرفين. وتحقيق الاعتدال أو التوازن. عند المقارنة بين المعنيين، نلحظ أن الدلالة الاصطلاحية امتدادٌ طبيعي للدلالة اللغوية؛ فالوسط المكاني تحوّل إلى وسطٍ وظيفي، والموضع بين طرفين صار دورا تواصليا بين جهتين. فاللغة تؤسس لفكرة "البينية" بينما الاصطلاح يطوّرها إلى "فاعلية تواصلية". من هنا يمكن القول إن الوسيط – في الإطار الأدبي – هو كل عنصرٍ يتوسّط بين ذاتين لتحقيق اتصالٍ عاطفي أو معنوي، سواء أكان إنسانا أم عنصرا طبيعيا أم رمزا.

الغزل

الغزل لغةً: جاء في لسان العرب أن "الغَزَل" هو اللهو مع النساء وحديث الفتيان والفتيات، ومغازلتهنّ: محادثتهنّ ومراودتهنّ، ويقال: "تغزّل بها" إذا تكلّف ذلك، ورجلٌ "غَزِل" أي كثير التغزّل بالنساء، وقد ضربت العرب المثل في ذلك بقولهم: "هو أغزل من امرئ القيس". (ابن منظور، 1414هـ، مادة: غزل). تكشف الدلالة اللغوية أن الغزل في أصله يرتبط بالمحادثة والملاطفة والتودّد، أي بالفعل العاطفي المباشر بين الرجل والمرأة.

الغزل اصطلاحاً: عرّفه أحمد مختار عمر : بأنه فنّ من فنون الشعر يتغنّى فيه الشاعر بامرأة ويعبّر عن مشاعره نحوها، ومنه "شعر غزلي" أي خاصّ بالغزل. (أحمد مختار عمر 2008م، ص 6161). هنا ينتقل الغزل من مجرد محادثة ولهوٍ عاطفي إلى فنٍّ شعريٍّ مستقلّ له خصائصه وبنيته وأغراضه. ومن هنا يتّضح أن الغزل في اللغة فعلٌ عاطفي مباشر يقوم على المخاطبة والملاطفة، بينما في الاصطلاح صار نوعا أدبيا تتجسّد فيه تلك المشاعر ضمن بنية فنية. فاللغة تمنحنا جوهر العاطفة، والاصطلاح

يمنحها شكلها الجمالي المنظّم. من هنا تتجلّى أهمية الجمع بين المفهومين في هذه الدراسة؛ إذ إن الوسيط في شعر الغزل لا يعمل إلا في إطار هذا البعد العاطفي الذي تؤسسه الدلالة اللغوية، ثم تصوغه الدلالة الاصطلاحية في قالبٍ شعريٍّ فني. يتّضح من خلال هذا التأصيل اللغوي والاصطلاحي أن مفهوم الوسيط يقوم في أصله على معنى الموضع الواقع بين طرفين، ثم تطوّر دلاليا ليعبّر عن وظيفةٍ تواصليةٍ فاعلة يتحقق بها الربط أو النقل أو الإصلاح. فالدلالة اللغوية تؤسس لفكرة البينية المكانية، بينما يمنحها الاصطلاح بعدا حركيًا يتصل بالفعل والتأثير. كما أن مفهوم الغزل انتقل من معناه اللغوي الدال على الملاطفة والمحادثة والتودد، إلى معناه الاصطلاحي بوصفه فنًا شعريًا مستقلا يُعبّر فيه الشاعر عن عاطفته ضمن بناء فني وجمالي منظم. وبذلك يجتمع في الغزل بعدان: عاطفيٌّ وجداني، وفنيٌّ تعبيري، ومن ثمّ، فإن الوسيط في شعر الغزل لا يُعد عنصرًا طارئًا، بل هو آلية فنية تنبثق من طبيعة التجربة الغزلية ذاتها؛ إذ إن العاطفة بحكم البعد أو الغياب أو القيود الاجتماعية – تستدعي عنصرا يتوسّط لنقلها أو تجسيدها. وعلى هذا الأساس المفاهيمي تنطلق الدراسة التطبيقية، لرصد تجلّيات الوسيط في النصوص الغزلية، وتحليل أدواره الجمالية والدلالية عبر العصور.

تجليات الوسيط في شعر الغزل العربي القديم

تحاول الدراسة كشف تجليات الوسيط بمختلف أنواعه: البشري، الطبيعي، والرمزي، ودراسة دوره في نقل الرسائل العاطفية، وتعميق التجربة الغزلية، وإثراء الصورة الشعرية. يعتمد التحليل على القراءة التفصيلية لكل نص، مع التعليق على وظيفة الوسيط وأثره الفني والجمالي، بما يوضح تطوره عبر العصور ويبرز اختلاف استخداماته وفقا للبيئة الثقافية والحس الشعري لكل عصر.

الوساطة البشرية في العصر الجاهلي:

نموذج الوسيط الاستطلاعي عند عنترة بن شداد: النص: (عنترة بن شداد، ص 368)

فبعثتُ جاريتي فقلتُ لها اذهبي	***	فتحسّسي أخبارَها لي وأعلمي
قالت رأيتُ من الأعادي غرّةً	***	والشاةُ ممكنةٌ لمن هو مُرتم
فكأنما التفتتْ بجيدٍ جدايةٍ	***	رشأٌ من الغزلان حُرٌّا أرثم

التحليل

يؤسس الشاعر فعل الوساطة من خلال المطلع بالفعل الماضي (بعثتُ) وهو فعل قصديّ يدل على تدبير سابق، لا على انفعال طارئ. فاللقاء المباشر متعذر في السياق القبلي، ومن ثمّ تنشأ الوساطة بوصفها بديلا تواصليا تحكمه الضرورة الاجتماعية. اللافت أن الشاعر لا يكتفي بفعل الإرسال، بل يحدد المهمة بدقة (تحسّسي.. وأعلمي). فالمطلوب ليس مجرد تبليغ سلام؛ بل استطلاعٌ وتحقيقٌ ونقلُ صورةٍ كاملة عن حال المحبوبة. وهنا تتجلى الوساطة بوظيفتها الاستخبارية. عند انتقال الخطاب إلى (قالت) يدخل صوت ثانٍ داخل النص، فتتحول القصيدة إلى مشهد سردي قصير تتعدد فيه الأصوات. الجارية لم تعد قناة صامتة، بل شخصية لها دورٌ في بناء الحدث؛ فهي تنقل خبرًا محفوفًا بالخطر (رأيت من الأعادي غرة) مما يجعل الوساطة جزءًا من شبكة توتر اجتماعي. أما وصف المحبوبة في البيت الأخير، فيأتي بعد تقرير الوسيط، وكأن الصورة الجمالية لا تصل إلى الشاعر إلا عبر قناة الوساطة. فالجمال ذاته يُرى بواسطة الآخر، لا بالمعاينة المباشرة. إذن الوساطة في هذا النموذج: ضرورة اجتماعية فرضها المنع القبلي، وسيلة استطلاع وتحذير، عنصر سردي يُدخل تعدد الأصوات في بنية النص وهذه السمات تمثل البنية الأولى للوساطة البشرية في الغزل العربي القديم.

نموذج الوسيط المتخيّل عند الأعشى: النص: (الأعشى، 1977م، ص 82)

فبعثتُ جنيًا لنا	***	يأتي برجْع حديثها
فمشى ولم يخشَ	***	الأنيسَ فزارَها وخلا بها
فتنازعا سرّ الحديثِ	***	فأنكرتْ فزا بها

التحليل

يأتي في صدر النص فعل (بعثت) ليؤكد رسوخ مفهوم الوساطة في البناء الغزلي الجاهلي، غير أن التحول الجوهري هنا يكمن في هوية الوسيط؛ فلم يعد إنسانًا يتحرك في إطار القبيلة، بل (جنيًا) كائنا متخيّلا قادرا على اختراق الحواجز. بهذا الاختيار ينتقل الشاعر من: الوساطة الواقعية المقيدة (كما عند عنترة) إلى: وساطة تخييلية مطلقة الحركة. الفعل (يمشي ولم يخشَ الأنيس) يحمل دلالة مهمة؛ فالأنيس (الإنسان) هو مصدر الرقابة والمنع، بينما الجني يتجاوز هذه الرقابة بطبيعته غير المرئية. وهنا تصبح الوساطة حلا فنيا لمعضلة اجتماعية. غير أن اللافت أن الوسيط لا يظل محايدا؛ إذ "خلا بها" و"تنازعا سر الحديث". فالرسول يتحول

مجلة جامعة بخت الرضا المحكمة، ربع السنوية، العدد (46)، المجلد (1) سبتمبر 2026م
معامل التأثير العربي (1.25)
ISSN:[1858-6139],Online

إلى طرف داخل المشهد، لا مجرد ناقل. بل إن الفعل "نزا بها" يوحي بانفلات الوسيط من حدود مهمته، مما يخلق توترا دراميا داخل النص. إذن الوساطة هنا: متحررة من القيود المكانية، ذات طابع تخييلي وقابلة للانحراف عن وظيفتها الأصلية وبهذا يفتح النص بابا مهما في تطور الوساطة: من الوظيفة الواقعية إلى الإمكان الفني، ومن الحياد إلى احتمال التورط داخل الحدث. بهذين النموذجين يتضح أن العصر الجاهلي قدم صورتين أساسيتين للوساطة البشرية أو شبه البشرية: الوسيط الواقعي الاحترازي والوسيط المتخيّل المتحرر من القيود ووهما صورتان تمهدان لتطور الوساطة لاحقًا في العصر الأموي، حيث تتحول من ضرورة اجتماعية إلى بنية وجدانية متكاملة.

الوساطة البشرية في العصر الأموي:

الوساطة الوجدانية عند جميل بثينة: النص: (جميل بثينة، د. ت، ص 102)

خليليّ عوجا اليوم حتّى تُسلّما	***	على عذبة الأنياب طيّبة النّشر
فإنكما إن عُجتما لي ساعةً	***	شكرتُكما حتّى أُغيّب في قبري
ألمّا بها ثمّ اشفعا لي وسلّما عليها	***	سقاها الله من ساعب القطر
وبوحا بذكري عند بُثنة وانظُرا	***	أترتاحُ يومًا أم تهشُّ إلى ذكري
فإن لم تكن تقطع قُوى الودّ بيننا	***	ولم تنسَ ما أسلفتُ في سالف الدهر
فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولوعةٌ	***	وبينٌ وغربةٌ من مدامعها يجري

التحليل

يختلف حضور الوسيط هنا عن النموذج الجاهلي في جوهره ووظيفته. فالشاعر لا يبعث رسولا واحدا محدد المهمة، بل يخاطب "خليلين" في صيغة النداء المباشر، ويغدق عليهما أفعال الأمر: "عوجا، سلّما، ألمّا، اشفعا، بوحا، انظرا". تكرار الأفعال يكشف أن الوساطة ليست إجراءً عابرًا، بل بنية ممتدة داخل التجربة. فالخليلان: يسلمان، يشفعان، ينقلان الذكر، ويراقبان أثره. إذن الوسيط هنا يؤدي وظيفة مركبة: نقل السلام. الشفاعة. نقل الذكر. واستطلاع الأثر النفسي. وهذا التعدد يعكس طبيعة الغزل العذري، حيث البعد الوجداني هو الأساس. الوساطة ليست التفافًا على رقابة اجتماعية فحسب، بل وسيلة لإدامة حضور العاشق في وعي المحبوبة. اللافت أيضا أن الشاعر يُسند إلى الوسيط مهمة اختبار المشاعر (أترتاحُ يومًا أم تهشُّ إلى ذكري) هنا يتحول الوسيط إلى أداة قياس وجداني، كأنه مرآة تعكس صدق الحب. كما أن وعد الشاعر بالشكر (حتى أُغيّب في قبري) يضفي على الوساطة طابعا أخلاقيا؛ فالرسول ليس مجرد ناقل، بل موضع امتنان أبدي. في هذا النموذج تتجلى خصائص الوساطة الأموية العذرية: في امتدادها داخل بنية القصيدة. تداخلها مع الألم واللوعة. وتحولها إلى جزء من الاقتصاد العاطفي للعاشق. لقد انتقلت الوساطة من كونها ضرورة احترازية –كما في الجاهلي– إلى كونها ركيزة وجدانية تحافظ على استمرار العلاقة في ظل البعد.

الوساطة الطقسية عند كثير عزة: النص: (كثير عزة، 1971م، ص 95)

خليليّ هذا ربعُ عزّةَ فاعقلا	***	قلوصيكما ثمّ ابكيا حيثُ حلّتِ
ومُسّا تُرابًا كان قد مسّ جلدها	***	وبيتًا وطئّا حيثُ باتت وظلّتِ
ولا تيأسا أن يمحوَ اللهُ عنكما	***	ذنوبًا إذا صلّيتما حيثُ صلّتِ
وما كنتُ أدري قبلَ عزّةَ ما البُكا	***	ولا موجعاتِ القلبِ حتّى تولّتِ

التحليل

"النداء" في (خليليّ) يؤكد رسوخ صيغة الوساطة الثنائية في الغزل العذري، غير أن وظيفة الوسيط هنا تختلف عن نموذج جميل بثينة؛ فالشاعر لا يطلب تبليغ رسالة مباشرة، بل يأمر الخليلين بطقس كامل من الوقوف والبكاء ومسّ التراب والصلاة في موضع إقامة المحبوبة. الوساطة في هذا النص ليست نقلًا للقول، بل نقلٌ للحضور الرمزي. فالخليلان يمارسان أفعالا ذات طابع شعائري: الوقوف عند الربع. البكاء. مسّ التراب. والصلاة في المكان ذاته. بهذا تتحول الوساطة إلى فعل تعويضي؛ إذ يعجز الشاعر عن مباشرة المكان، فينيب غيره ليقوم بالفعل نيابة عنه. الوسيط هنا يحمل التجربة لا الرسالة، ويؤدي طقس الحنين بدل العاشق. اللافت أن البكاء ذاته لم يكن معروفًا للشاعر قبل عزّة، مما يدل على أن الوساطة ترتبط بنشوء الوعي بالألم. إن العاشق يكتشف ذاته العاطفية عبر الفقد، ويجعل من الوسيط امتدادا لهذا الاكتشاف. تتسم الوساطة في هذا النموذج بـ: طابع شعائري واضح. استبدال اللقاء بالفعل الرمزي. امتداد الألم عبر المكان لا عبر القول فقط. وإذا كان جميل بثينة قد جعل الوسيط قناة لنقل الذكر، فإن كثيرًا

مجلة جامعة بخت الرضا المحكمة، ربع السنوية، العدد (46)، المجلد (1) سبتمبر 2026م
معامل التأثير العربي (1.25)
ISSN:[1858-6139],Online

جعله قائمًا مقام العاشق في ممارسة الحنين ذاته. بهذين النموذجين تتضح سلامح الوساطة العذرية في العصر الأموي: تعويض عن الحرمان. انخراط في الألم واتساع الوظيفة من نقل الرسالة إلى تمثيل التجربة.

3/ الوساطة التواصلية في الغزل الحضري عند عمر بن أبي ربيعة: النص: (عمر بن أبي ربيعة، ص 196، 221)

أرسلتْ هندٌ إلينا رسولا *** عاتبًا: أن ما لنا لا نراكا

ويقول في موضع آخر:

أرسلتْ نحوي الرسولَ لألقاها *** فأرسلتْ عند ذاك بأن لا
لستُ أستطيعُ للرسول وأيقنتْ *** يقينًا بلومها حين ولّى
رجعتْه إليها لما أتاها *** وبأيمانها عليّ تألّى

التحليل

تتبدل صورة الوساطة هنا تبدلا جذريا عمّا سبق. فالمبادرة لا تصدر من الشاعر وحده، بل من المرأة أيضا: أرسلت هند إلينا رسولا؛ وهذا التحول يعكس طبيعة المجتمع الحضري في العصر الأموي، حيث أصبحت العلاقة أكثر حركة وتبادلية. الوسيط هنا: رسول محدد الهوية. يتحرك بين طرفين فاعلين. وينقل عتابا صريحا. لم تعد الوساطة تعويضا عن انقطاع تام، بل أداة تنظيم علاقة قائمة. إنها جزء من لعبة التواصل الاجتماعي. وفي المقطع الثاني تتكرر أفعال الإرسال والرجوع، مما يخلق حركة ذهاب وإياب داخل النص. الوساطة لم تعد حدثا واحدا، بل سلسلة تفاعلات: إرسال، اعتذار، لوم، رجوع. الرسول هنا عنصر متفاعل داخل شبكة تواصل نشطة، لا شريكًا في الألم كما في الغزل العذري، ولا أداة استطلاع كما في الجاهلي. كما أن حضور العتاب (عاتبا) يبرز أن الوسيط قد ينقل خطابا نقديا، لا مجرد سلام أو شوق. إنه أداة تفاوض عاطفي. إذن الوساطة في الغزل الحضري: متبادلة الاتجاه. خاضعة لإيقاع اجتماعي مرن. أداة إدارة علاقة لا مجرد تعويض عن فقد. وبذلك يكتمل مشهد الوساطة في العصر الأموي بصورتين واضحتين: وساطة عذرية قائمة على الحنين والحرمان. وساطة حضرية قائمة على التبادل والعتاب.

الوساطة البشرية في العصر العباسي

الوسيط الدرامي عند أبي نواس: النص: (أبو نواس، ص104)

أرسلَ من أهوى رسولًا لهُ *** إليّ والمنسوبُ محبوبُ
فقلتُ: أهلاً بك من مُرسلٍ *** ومن حبيبٍ زانه الطيبُ
جمّشتُه في كلمةٍ فانثنى *** وقال: هذا منك تجريبُ
مثلك لا يعشقُ مثلي وقد *** هامت به بيضاءُ رُعبوبُ
وجاءت الرسلُ بأن آتنا *** فجئتُها والقلبُ مرعوبُ
قالت: تعشّقتَ رسولي لقد *** بدتْ منك الأعاجيبُ

التحليل

من البيت الأول يتجلى حضور الوساطة بوصفها بنية مركزية في الحدث: أرسل من أهوى رسولا له. غير أن المفارقة تبدأ مبكرا؛ فالشاعر لا يكتفي باستقبال الرسول، بل يحتفي به احتفاءً خاصا، مما يفتح باب التوتر الدرامي. اللافت أن العلاقة لا تبقى في إطار النقل المحايد؛ إذ ينشأ نوع من الانجذاب بين الشاعر والرسول (جمشته في كلمة فانثنى) وهو ما يؤدي إلى اتهام المحبوبة له لاحقًا: تعشقت رسولي هنا يتحول الوسيط من: ناقل رسالة إلى موضوع غيرة ويصبح عنصر خلل في العلاقة وهذا التحول يمثل نقلة فنية واضحة عن النماذج السابقة. فالوساطة لم تعد ضرورة اجتماعية أو وجدانية، بل أصبحت أداة لبناء مفارقة ساخرة ، كما أن تعدد الأصوات داخل النص (المرسل، الرسول، المحبوبة، الشاعر) يمنح القصيدة طابعًا شبه مسرحي، تتداخل فيه الحوارات القصيرة لتصنع مشهدا حيًا.

الوسيط في هذا النموذج: فاعل داخل الحدث. قابل لأن يتحول إلى مناقض. وعنصر إثارة وغيرة. هذا يعكس وعيا عباسيا بالبناء الفني، حيث تغدو الوساطة وسيلة لإنتاج الدراما، لا مجرد قناة تواصل. بهذا النموذج نرى أن الوساطة في العصر العباسي تبدأ في اكتساب بعد جمالي مركب، يتجاوز الضرورة والحنين إلى المفارقة والتلاعب الفني. لننتقل الآن إلى نموذج بشار بن برد، حيث تتخذ الوساطة بعدًا خطابيًا تأمليًا يختلف عن الطابع الدرامي عند أبي نواس.

الوسيط الخطابي عند بشار بن برد: النص: (بشار بن برد، 2007م، ص212)

ألا قُلْ لتلك المالكيّة أصحبي *** وإلّا فمنّينا لقاءك واكذبي

مجلة جامعة بخت الرضا المحكمة، ربع السنوية، العدد (46)، المجلد (1) سبتمبر 2026م
معامل التأثير العربي (1.25)
ISSN:[1858-6139],Online

عديا فإنّ النفس تُخدعُ بالمُنى *** وقلبُ الفتى كالطائرِ المتقلّبِ
وقد تأمني من لا يزالُ مُباعدًا *** على قُربِ من يدنو بسهلٍ ومرحبِ
فإنّك لو تجفوك أمٌّ قريبةٌ *** تجافيتِ عنها للبعيدِ المُقرّبِ
إذا ينست نفسٌ امرئٍ من قريبةٍ *** تبدّلَ أُخرى مركبًا بعد مركبِ

التحليل

يبدأ النص بصيغة الأمر (ألا قُل) وهي الصيغة الأكثر شيوعًا في بنية الوساطة الخطابية. غير أن الوسيط هنا لا يُستدعى بوصفه شخصية ذات حضور سردي، بل أداة بلاغية لتمرير خطاب مباشر إلى المحبوبة. الوساطة في هذا النموذج: لغوية قبل أن تكون حدثية. إطار تعبيري لتوجيه خطاب غير مباشر. فالشاعر لا يصف حركة الرسول ولا تفاعله، بل ينشغل بمضمون ما ينبغي أن يُقال. وهنا تتراجع صورة الوسيط الواقعي لصالح الوظيفة البلاغية. تتسع القصيدة بعد الأمر الأول لتصبح تأمّلًا في تقلب النفس البشرية: وقلب الفتى كالطائر المتقلب. الوسيط إذن يفتح بابًا لحوار نفسي، لا لمشهد سردي. إننا أمام وساطة تُستخدم لإيصال حكمة وتجربة، لا لإدارة لقاء أو نقل خبر، كما أن التدرج من العتاب إلى التحليل النفسي (النفس تخدع بالمُنى) يدل على أن الوساطة أصبحت مدخلًا للتفكير في طبيعة الحب ذاته. إذن، مقارنةً بأبي نواس: عند أبي نواس: الوسيط عنصر درامي داخل الحدث. عند بشار: الوسيط إطار بلاغي لإنتاج خطاب تأملي. وهذا يعكس نضجًا عباسيًا في التعامل مع الوساطة بوصفها أداة فنية قابلة للتوظيف المتعدد.

الوسيط غير الموثوق عند العباس بن الأحنف: النص: (العباس بن الأحنف، 1978م، ص 27)

وإني أرى من أهل بيتك نُسوةً *** شبين لنا في الصدر نارًا تلهّبُ
عرفن الهوى منا فأصبحن حُسّدًا *** يُخبرن عنّا من يجيءُ ويذهبُ
وإني ابتلاني اللهُ منكم بخادمةٍ *** تُبلّغكمُ عنّي الحديثَ وتكذبُ
ولو أصبحت تسعى لتوصل بيننا *** سعدتُ وأدركتُ الذي كنت أطلبُ
وقد ظهرت أشياءُ منكم كثيرةٌ *** وما كنتُ منكم مثلها أترقّبُ

التحليل

ينتقل النص من صورة عامة للحسد والمراقبة الاجتماعية إلى تحديد عنصر الوساطة في صورة (خادمة) غير أن هذه الوساطة لا تؤدي وظيفة التقريب؛ بل تتحول إلى سبب اضطراب العلاقة، فالفعل (تُبلّغكم عني الحديث وتكذب) يكشف خللا جوهريا في بنية الوساطة؛ فالنقل لم يعد أمينا، بل مشوبا بالتحريف. وهنا تظهر الوساطة بوصفها موضع أزمة، لا موضع أمل. الملاحظ أن الشاعر يضع صورة افتراضية مضادة: ولو أصبحت تسعى لتوصل بيننا/ سعدتُ.. بهذا التقابل بين الواقع المفسد والاحتمال المأمول، تتجلى المفارقة؛ فالوسيط قادر على أن يكون جسرا أو حاجزا، والفرق بين الحالتين هو الصدق. تتسم الوساطة في هذا النموذج بـ: هشاشة الثقة، تدخل أطراف متعددة :النسوة، الخادمة. وتعقيد اجتماعي يعكس بيئة حضرية مكتظة بالعلاقات. وبذلك يكتمل المشهد العباسي للوساطة البشرية في ثلاث صور: وسيط درامي متورط في الحدث (أبو نواس)، وسيط خطابي بلاغي (بشار) ووسيط مفسد غير أمين (العباس بن الأحنف). وهذا التنوع يدل على أن الوساطة في العصر العباسي بلغت درجة عالية من الوعي الفني والاجتماعي، فلم تعد مجرد قناة نقل؛ بل عنصرا بنيويا في تشكيل التجربة الشعرية.

الوساطة البشرية في العصر الأندلسي

الوسيط الراكب عند ابن خفاجة: النص: (ابن خفاجة، 1960م، ص55)

وهيهاتَ حالت دون حُزْوَى وأهلها *** ليالٍ وأيّامٌ تُخالُ ليالِيا
فقل في كبيرٍ عادةُ صائدُ الظّبا *** إليهنّ مهتاجًا وقد كان سالِيا
فيا راكبًا يستعملُ الخطو قاصدًا *** ألا عُجْ بشُقْرٍ رائحًا أو مغاديا
وقفْ حيثُ سالَ النهرُ ينسابُ أرقَمًا *** وهبْ نسيمُ الأيكِ ينفثُ راقِيا

التحليل

يتأسس النص على بُعدٍ مكاني واضح: حالت دون حزوى وأهلها ليالٍ وأيام. فالمانع هنا ليس رقابة اجتماعية كما في الجاهلي، ولا حرمانا عذريا محضا كما في الأموي، بل مسافة زمنية ومكانية ممتدة. عند البيت الثالث يظهر الوسيط صراحة في النداء: فيا راكبا الوسيط هنا: مسافر، عابر طريق، يحمل القدرة على الوصول حيث يعجز الشاعر. وتتحدد مهمته عبر أفعال الأمر: عُجْ... قِفْ..

غير أن هذه الأوامر لا تقتصر على نقل رسالة لفظية، بل تتصل بالمكان ذاته: الوقوف عند النهر، الإصغاء إلى النسيم، المرور بموضع محدد. بهذا تتحول الوساطة إلى: عبور جغرافي. حمل للحنين عبر الفضاء الطبيعي. كما أن اندماج عناصر الطبيعة (النهر، النسيم، الأيك) مع حركة الوسيط يوحي بأن الوساطة الأندلسية تقترب من التداخل مع المحيط الجمالي، فلا تكون مجرد وظيفة اجتماعية، بل جزءاً من المشهد الشعري الكلي؛ فالوسيط هنا ليس عنصرا منفصلا عن البيئة، بل يتحرك داخل لوحة طبيعية نابضة، وكأنه جزء من نسيجها. إذن الوساطة في هذا النموذج: هي جسر مكاني بين الغائب والمحبوب. ممتزجة بجمالية الطبيعة الأندلسية. أقل توترا اجتماعيا وأكثر انسيابا شعوريا، وهذه السمات تميز المرحلة الأندلسية بوصفها طورا أكثر رهافة في التعامل مع الوسيط البشري.

الوسيط المسافر عند ابن زيدون: النص: (ابن زيدون، ص 307)

هل راكبٌ ذاهبٌ عنهم يحيّيني	***	إذ لا كتابٌ يوافيني فيحييني
شخصٌ يذكّرني فاهُ وغرّتُه	***	شمسَ النهارِ وأنفاسُ الرياحين

التحليل:

يفتتح الشاعر النص بصيغة الاستفهام: هل راكبٌ...؟ وهي صيغة تحمل معنى التمني الضمني. فالوساطة هنا ليست قائمة بالفعل، بل مطلوبة، مرجوة. وهذا يختلف عن النماذج السابقة التي كان فيها فعل الإرسال واقعا. الوسيط هو (راكب) أي عابر سبيل، يتحرك في الفضاء المفتوح. غير أن اللافت أن الشاعر يذكر سبب الحاجة إليه: إذ لا كتاب يوافيني. فغياب الكتابة – على أهميتها في العصر الأندلسي – يعيد الحاجة إلى الوسيط البشري. تتخذ الوساطة هنا بعداً إنعاشيا؛ إذ يكرر الشاعر الفعل (يحييني) مما يدل على أن التحية المنقولة ليست مجرد سلام؛ بل فعل إحياء رمزي. فالحب في حال انقطاع، والوسيط هو ما يعيد إليه نبضه. وفي البيت الثاني لا يطلب الشاعر نقل قول محدد، بل يكفي (شخص يذكرني) إن مجرد الاستحضار كاف. وهنا تصبح الوساطة نقلًا للصورة، لا للكلام فحسب.

خصائص الوساطة في هذا النص: مرجوة لا متحققة. مرتبطة بغياب الكتاب. ذات أثر إحيائي نفسي. وإنها وساطة رقيقة، متصلة بالحياة الشعورية لا بالصراع.

الوسيط البلاغي الندائي عند ابن زيدون: النص: (ابن زيدون، 1994م، ص 304)

من مُبلغٌ عني البدرَ الذي كملا	***	في مطلعِ الحسنِ والغصنَ الذي اعتدلا
أن الزمانَ الذي أهدى مودّتَه	***	إليّ مرتهنٌ شكري بما فعلا
أما الحبيبُ الذي أبدى الجفاءَ لنا	***	فما رأينا قِلاه حادثًا جللا

التحليل

يبدأ النص بصيغة: من مبلغ عني. وهي من أكثر صيغ الوساطة رسوخا في التراث الغزلي. غير أن المخاطَب هنا ليس اسما مباشرا، بل صورة جمالية: البدر الذي كملا والغصن الذي اعتدلا؛ فالوساطة تتجه إلى كائن موصوف بصفات حسية رمزية، وهو ما يعكس الرهافة الأندلسية في التعبير. الوسيط هنا يؤدي وظيفة محددة: تبليغ موقف وجداني. ونقل تفسير للعلاقة (الزمان... مرتهن شكري). النبرة أقل ألمًا من الغزل العذري، وأقل درامية من العباسي؛ إنها وساطة متزنة، مشحونة بوعي لغوي وجمالي. كما أن توظيف صورة "البدر" و"الغصن" يدل على أن الخطاب نفسه محاط بإطار تشبيهي، مما يجعل الوساطة امتدادًا للبلاغة لا للحدث فقط. خصائص الوساطة هنا: صيغة نداء مفتوح. محمولة على لغة رمزية. متصلة بتفسير العلاقة لا مجرد التعبير عن الشوق. وفي النموذجين نلحظ أن الوساطة الأندلسية عند ابن زيدون تتميز بـ: رهافة لغوية عالية. اقترانها بفكرة الكتاب والرسالة. طابع وجداني هادئ، غير صراعي. واقترابها من البلاغة التصويرية. يتضح من خلال تتبع نماذج الوساطة البشرية في الغزل العربي القديم أن هذا العنصر لم يكن تفصيلا عارضا في البناء الشعري، بل شكّل ركيزة بنيوية تتطور بتطور السياق الحضاري والثقافي؛ ففي العصر الجاهلي، كما عند عنترة بن شداد والأعشى نشأت الوساطة استجابةً لواقع اجتماعي قبلي يقيّد اللقاء المباشر، فجاءت ضرورةً احترازية، تارة في صورة جارية تستطلع الأخبار، وتارة في صورة كائن متخيّل يتجاوز الحواجز. وكانت وظيفتها في الأساس عمليةً مباشرة، وإن بدأت تومئ إلى إمكانات فنية كامنة. في العصر الأموي، ومع جميل بثينة وكثير عزة، تحولت الوساطة إلى بنية وجدانية متكاملة؛ فلم تعد مجرد نقل رسالة، بل صارت مشاركة في الألم وتمثيلًا لطقوس الحنين. وفي المقابل، أظهرت تجربة عمر بن أبي ربيعة صورة حضرية أكثر حركة، حيث غدت الوساطة أداة إدارة علاقة متبادلة داخل مجتمع أقل صرامة، فتعددت اتجاهاتها وتنوّعت وظائفها. أما في العصر العباسي، فقد بلغت الوساطة درجة أوضح من الوعي الفني؛ إذ رأيناها عنصرا

دراميا متورطا في الحدث عند أبو نواس، وأداة خطابية بلاغية عند بشار بن برد، ثم موضع أزمة وثقة مهتزّة عند العباس بن الأحنف. وهنا لم تعد الوساطة استجابةً لمنع خارجي، بل صارت مكوّنًا داخليا في تشكيل التجربة الشعرية. في العصر الأندلسي، عند ابن خفاجة وابن زيدون، اتخذت الوساطة طابعا أكثر رهافة واندماجًا في النسيج الجمالي؛ فظهر الوسيط المسافر، والنداء المفتوح :من مُبلِّغ، وتداخلت الوساطة مع صورة المكان والطبيعة، واقتربت من أفق الكتابة والرسالة، مما يعكس نضجا حضاريا ولغويا في تمثيل العلاقة العاطفية. عليه، يمكن القول إن الوساطة البشرية في الغزل العربي القديم انتقلت من كونها ضرورة اجتماعية إلى كونها بنية وجدانية، ثم عنصرا فنيا واعيا، قبل أن تستقر في صورتها الأندلسية الرقيقة التي تمزج بين الجمال والحنين والتعبير البلاغي. وهذا المسار التطوري يهيئ للانتقال إلى القسم الثاني من الدراسة، حيث تتجاوز الوساطة حدود البشر لتتجسد في عناصر الطبيعة والرمز، فتغدو أكثر تجريدا واتساعا.

الوسيط الطبيعي والرمزي في شعر الغزل العربي القديم

العصر الجاهلي:

طرفة بن العبد، الوسيط الرمزي (الخيال): النص: (طرفة بن العبد، ص 90–93)

فقُل لخيالِ الحنظليّة ينقلب	***	إليها فإنّي واصلٌ حبلَ من وصل
ألا إنّما أبكي ليوم لقيتُهُ	***	بجُرثُمَ قاسٍ كُلُّ ما بعدهُ جلَل
إذا جاء ما لا بُدّ منهُ فمرحباً	***	به حين يأتي لا كذابٌ ولا علّ
ألا إنّني شُربتُ أسودَ حالكاً	***	ألا بجلي من الشّراب ألا بجل
فلا أعرفَنّي إن نشدتكَ ذمّتي	***	كداعي هديلٍ لا يُجابُ ولا يمل

التحليل

الوسيط الرمزي: يشير الشاعر مباشرة إلى "خيال الحنظلية"، أي أن الوسيط هنا ليس بشريًا ولا طبيعيًا، بل رمزي نفسي، الخيال يقوم بوظيفة التبليغ الذهني؛ الشاعر يتواصل عبره مع المحبوبة، في غياب اللقاء الواقعي.

وظيفة الوسيط

نقل المشاعر: يظهر في قوله: "إليها فإنّي واصلٌ حبلَ من وصل".

مواجهة الغياب: الوسيط يُستخدم لتعويض عدم القدرة على اللقاء المباشر.

التدخل الذهني: الخيال يتلقى توجيهات الشاعر ليعيد بناء حدث وجداني.

التعبير العاطفي المكثف

استخدم طرفة مفردات شديدة الوجدانية: "أبكي ليومٍ لقيتُهُ"، "شربتُ أسودَ حالكاً".

يظهر الصراع بين الحضور الذهني وغياب الواقع، مما يعكس عمق تأثير الوسيط الرمزي على تجربة الشاعر.

تطور الوسيط بالمقارنة مع غيره

يبرز طرفة وعيا بالخيال كأداة: الوسيط هنا متحرك ويستجيب لتوجيه الشاعر، أي أنه لا يظل مجرد حدث عابر. النص يوضح أن العصر الجاهلي لم يقتصر على الوسيط الطبيعي أو الحسي، بل استخدم الوسيط الرمزي لتوسيع أفق التواصل العاطفي. كما يبرز أن الوسيط يمكن أن يكون متعدد الطبقات، ويقوم بدور شبه بشري داخل النص.

عنترة بن شداد – الوسيط الطبيعي (النسيم): النص: (عنترة بن شداد، 1991م، ص 2)

بردُ نسيم الحجاز في السحر	***	إذا أتاني بريحه العطر
لَذّ عندي ممّا حوتهُ يدي	***	من اللآلي والمال والبدر
وملكُ كسرى لا أشتهيه إذا	***	ما غاب وجهُ الحبيب عن نظري
يا عبلُ نارُ الغرام في كبدي	***	ترمي فؤادي بأسهُم الشرر

التحليل:

الوسيط الطبيعي: يظهر الوسيط في صورة النسيم العاطر: "إذا أتاني بريحه العطر". النسيم هنا لا يمرّ عبثًا، بل ينقل أثر الحبيبة، ويؤدي وظيفة الرسول الحسي، أي أنه وسيط بين الشاعر والمحبوبة عبر الطبيعة.

وظائف الوسيط

نقل المشاعر والعاطفة: النسيم يحمل أثر الحبيبة ويستثير الحنين والاشتياق.

مجلة جامعة بخت الرضا المحكمة، ربع السنوية، العدد (46)، المجلد (1) سبتمبر 2026م
معامل التأثير العربي (1.25)
ISSN:[1858-6139],Online

توسيع الحضور العاطفي: يضفي على الغياب واقعية محسوسة، بحيث يصبح الحبيب حاضرا في التجربة الحسية للشاعر.

تعزيز التفاعل بين الذات والطبيعة: النسيم لا يُستخدم فقط كوسيلة، بل كعنصر جمالي يندمج مع المشهد الشعوري.

التعبير العاطفي المكثف

عنترة يقارن النسيم بالليالي والمال والبدر، ليبرز أن أثر الحبيب أسمى وألذّ من أي قيمة مادية، والصراع الداخلي يظهر في قوله: «يا عبلَ دارُ الغرام في كبدي، ترمي فؤادي بأسهُم الشرَر»، إذ يندمج الحسّي بالعاطفة، ما يعكس تأثير الوسيط الطبيعي على النفس.

تطور الوسيط بالمقارنة مع طرفة: على عكس طرفة الذي استخدم الخيال الرمزي، هنا الوسيط حسي ملموس. الوسيط الطبيعي يعكس وعي الشاعر بالبيئة وقدرتها على نقل الرسائل العاطفية، لكنه أقل طبقية وتعقيدًا من الوسيط الرمزي الذهني. النص يوضح أن الوسيط في العصر الجاهلي كان متعدد المستويات: رمزي وذهني (طرفة)، طبيعي وحسي (عنترة)

العصر الأموي: النص (قيس بن الملوح، 1999م، ص 82)

ألا هل طُلوعُ الشمسِ يُهدي تحيّةً	***	إلى آلِ ليلى مرّةً أو غُروبُها
أتُضربُ ليلى إن مررتُ بذي الغضى	***	وما ذنبُ ليلى إن طوى الأرضَ ذيبُها
أجَل وعليَّ الرجمُ إن قُلتُ حبّذا	***	غُروبُ ثُنايا أمِّ عمرٍو وطيبُها

التحليل:

تحديد نوع الوسيط: الوسيط هنا الشمس في حالتيها: الطلوع والغروب ، وهو وسيط كوني شامل، يتجاوز النسيم والريح في الجاهلي، إذ لم يعد الشاعر يخاطب عنصرًا موضعيًا، بل يخاطب حركة الزمن ذاته.

وظيفة الوساطة: في قوله: "ألا هل طلوع الشمس يُهدي تحية" يُسند الشاعر إلى الشمس فعل الإهداء؛ أي نقل التحية، وهنا يتحقق تحول مهم: الوسيط الطبيعي لم يعد ناقل أثر فحسب، بل صار حاملاً لتحية صريحة. إنها وساطة لفظية متخيّلة، لا حسية فقط ؛ فالشاعر لا يطلب من إنسان أن يبلغ، بل من ظاهرة كونية تعمّ الأرض كل يوم. وهذا ينسجم مع طبيعة تجربة مجنون ليلى التي تتسم بالاتساع الكوني والذوبان في الطبيعة.

الزمن وسيطاً: طلوع الشمس وغروبها يمثلان دورتين يوميتين متكررتين. وهنا تتخذ الوساطة بعدا زمنيا: كل شروق فرصة لتحية، كل غروب احتمال اتصال. فالوسيط الطبيعي أصبح مرتبطًا بدورة الزمن، لا بحركة عابرة. إذا قارنا هذا النموذج بما رأيناه عند عنترة، عند عنترة: النسيم يحمل رائحة، والطيف يحقق لقاءً حلميا. عند مجنون ليلى: الشمس تحمل تحية. فالفرق الدقيق أن الوسيط الأموي: أكثر تجريدا، أكثر شمولا، وأشد اتصالا بالبنية الكونية. فالطبيعة هنا لا تُستدعى لكونها تحمل أثرًا ؛ بل لأنها تشارك في حركة العشق ذاتها.

البعد الرمزي: الشمس في هذا النص ليست مجرد جرم سماوي، بل رمز للاستمرار، والحضور اليومي، والاتصال الذي لا ينقطع. وكأن الشاعر يقول: إذا كان البشر يمنعون اللقاء، فلتكن الشمس رسولا لا يُمنع. وهنا نلمح تعميقًا للوسيط الطبيعي في العصر الأموي؛ إذ لم يعد مجرد حامل إحساس، بل صار بديلاً عن الوسيط البشري بصورة كاملة.

قيس بن الملوح: الطير وسيطاً طبيعيًا ذا بعد رمزي: يقول قيس: (قيس بن الملوح، 1999م، ص 64)

ألا أيُّها الطيرُ المُحلِّقُ غادياً	***	تَحمَّل سلامي لا تَذَرني مُناديا
تَحمَّل هداكَ اللهُ مِنّي رسالَةً	***	إلى بلدٍ إن كُنتَ بالأرضِ هاديا
إلى قَفرةٍ من نَحوِ لَيلى مَضلَّةٍ	***	بها القلبُ مِنّي موثَقٌ وفُؤاديا
ألا لَيتَ يوماً حلَّ بي من فراقِكُم	***	تَرَوَّدتُ ذاكَ اليومَ أخرَ زاديا

يتجلى الوسيط في هذا النص في صورة الطير الذي يخاطبه الشاعر مباشرةً، فيحمّله السلام والرسالة. والطير هنا وسيط طبيعي ظاهر، لكنه يتجاوز طبيعته المادية ليغدو رمزًا للأمل في تجاوز المسافة بين العاشق والمعشوق. فالنداء "ألا أيها الطير" يفتح بنية حوارية داخل النص، فيتحول الخطاب من مناجاة ذاتية إلى تواصل غير مباشر عبر وسيط. وهذا التحول يمنح التجربة الغزلية حركةً ديناميةً، ويخفف من حدة الانغلاق النفسي الذي يفرضه الفراق. كما أن اختيار الطير ليس اعتباطيا؛ فهو كائن محلّق، قادر على عبور الفضاءات، ومن ثمّ فهو الأقدر – تخييليا – على اختراق الحدود المكانية التي عجز عنها الشاعر. وهنا يتجسد البعد الرمزي؛ فالطير يمثل حرية الحركة التي حُرم منها العاشق، ويجسد إمكانية الوصل في مقابل واقع القطيعة.وفي قوله: "بها القلب مني موثق وفؤاديا" يتضح أن الرسالة ليست مجرد كلمات، بل امتدادٌ للذات، فكأن القلب ذاته يُرسل مع الطير. ومن ثمّ يصبح الوسيط حاملًا للهوية العاطفية، لا ناقلا للخطاب فحسب. وعليه، فإن الطير في هذا النص يجمع بين الطبيعة والرمز؛ فهو وسيط

طبيعي في شكله، رمزي في وظيفته، يؤدي دور الجسر الوجداني بين ذاتٍ مأزومة ومحبوبةٍ غائبة، مما يعمّق البعد الإنساني في تجربة قيس الغزلية.

العصر العباسي

البحتري: العارض وسيطًا طبيعيا ذا بعد رمزي، يقول البحتري: (البحتري، الديوان، موقع الديوان على الانترنت)

أما تَرى العارضَ المُنهلَّ دانيه	***	قد طَبَّقَ الأرضَ وانحلَّت عزاليه
فالريحُ تُزجيه تارات وتَحدُرُهُ	***	والرَعدُ يُنجيه طَوراً أو يُناجيه
يبكي فيضحكُ وجهُ الأرضِ عن زَهر	***	كالوشي بل لا تَرى وشياً يُدانيه
مازال يسكُبُ سحّاً مُسبلاً غدقاً	***	لا يستفيقُ ولي عينٌ تُباريه
شوقاً إلى رشإٍ لا الشمسُ تُشبهُهُ	***	ولا الهلالُ إذا تمّت لياليه

يتجلى الوسيط في هذا النص في صورة العارض (السحاب الممطر)، وهو وسيط طبيعي تتحول وظيفته من مجرد عنصر يبكي إلى أداة تعبير وجداني. فالشاعر لا يصف المطر لذاته، بل يمنحه حركةً وحياةً، حتى يبدو كائنا فاعلا؛ فالريح "تزجيه"، والرعد "ينجيه أو يناجيه"، مما يضفي عليه بعدا حواريا. يبلغ البعد الرمزي ذروته في قوله: "لا يستفيق ولي عين تباريه". إذ يعقد الشاعر مقابلة بين انهمار المطر وانهمار دمعه، فيصبح العارض معادلاً شعوريا لحالته النفسية. فكما يسكب السحاب ماءه، تفيض عينه شوقا إلى المحبوبة. ومن ثمّ فإن الوسيط هنا لا يؤدي وظيفة نقل رسالة كما في الطير أو الطيف، بل يقوم بوظيفة التجسيد الشعوري؛ إذ تتحول الطبيعة إلى مرآة للذات، ويغدو المطر ترجمانًا للعاطفة المكبوتة. وهكذا يندمج الطبيعي بالرمزي في بنية واحدة، تكشف عن رهافة الحس العباسي، وقدرته على تحويل المشهد الكوني إلى خطاب وجداني.

العباس بن الأحنف (الكتاب: جسر وجداني): (العباس بن الأحنف، 1978م، ص 27)

كتابٌ أتاني على نأيها	***	يُخبّرُ عن بعض أنبائها
فنفسي الفداءُ لهذا الكتاب	***	إن كان خطّ بإملائها

التحليل:

طبيعة الوسيط: الوسيط هنا ليس إنسانًا، ولا عنصرًا طبيعيًا، بل الكتاب، وهو وسيط مادي رمزي في آنٍ معا. لقد انتقلنا من الريح والنسيم (وسيط طبيعي)، والشمس (وسيط كوني)،إلى الرسالة المكتوبة. هذا التحول يعكس تطور البيئة الحضارية في العصر العباسي، حيث أصبحت الكتابة وسيلة تواصل مركزية.

وظيفة الوساطة: في قوله: "كتابٌ أتاني على نأيها" النأي (البعد) هو العائق، والكتاب هو أداة اختراقه ،الوسيط هنا يقوم بوظيفة واضحة وهي نقل الأخبار. لكن اللافت أن الشاعر لا يحتفي بمضمون الكتاب بقدر ما يحتفي بذاته: "فنفسي الفداء لهذا الكتاب" فالكتاب يتحول من أداة إلى كائن عاطفي جدير بالفداء.

رمزية الخط: قوله: "إن كان خطٌ بإملائها" يشير إلى أن قيمة الوسيط ليست في مادته، بل في صلته المباشرة بالحبيبة ؛ فالخطّ يصبح أثرًا جسديًا بديلًا عن الحضور. إنها وساطة أثرية؛ كما كان النسيم يحمل الرائحة، يحمل الكتاب أثر اليد والصوت. وهكذا نلاحظ أن في الجاهلي: الوسيط طبيعي أو حلمي، وفي الأموي: الوسيط كوني متخيّل، وفي العباسي: الوسيط حضاري مكتوب. وهذا يعكس تحوّل البيئة من فضاء قبلي مفتوح إلى مجتمع مديني مثقف؛ فالوساطة لم تعد تعتمد على الطبيعة، بل على أدوات الحضارة.

البعد الرمزي

الكتاب هنا ليس مجرد رسالة، بل رمز لاستمرار العلاقة رغم البعد، وإمكانية اللقاء عبر النص، وتعويض الجسد بالحرف. نحن أمام انتقال من الوسيط الطبيعي إلى الوسيط النصّي، وهو تطور بالغ الدلالة في مسار الوساطة الغزلية.

العصر الأندلسي:

ابن زيدون والوسيط الطبيعي: (ابن زيدون 1994م، ص 383)

يا ساري البرق غاد القصر واسق به	***	من كان صرف الهوى والوُدُّ يسقينا
واسأل هُنالك هل عنّي تَذكُّرُنا	***	إلفاً تَذكُّرُهُ أمسى يُعَنّينا
ويا نسيم الصبا بلِّغ تحيّتنا	***	من لو على البُعد حيّا كان يُحيينا

التحليل:

تعدد الوسيط الطبيعي

في هذا النص لا يقف الشاعر عند وسيط واحد، بل يستدعي: البرق، نسيم الصبا وهذا التعدد يدل على اتساع شبكة الوساطة، فلم تعد الطبيعة عنصرا عابرا، بل صارت منظومة تواصل متكاملة.

البرق وسيطا بصريا سريعاً: في قوله: "يا ساري البرق" البرق هنا رمز للحركة الخاطفة العابرة للمسافات. الشاعر يسنده فعلين: الغدوّ إلى القصر والسقي. فالبرق لم يعد مجرد مشهد؛ بل رسول فاعل يتحرك، ويسأل، ويباشر فعل الاتصال؛ إنه وسيط يقوم بدور شبه بشري، لكنه يحتفظ بصفته الكونية.

نسيم الصبا وسيطا وجدانياً: قوله: "ويا نسيم الصبا بلّغ تحيتنا" هنا تعود الوظيفة التبليغية صريحة كما في الوساطة البشرية. لكن الفارق أن النسيم: لا يُكذّب، لا يُلام، لا يخون السر؛ فالوسيط الطبيعي هنا يحلّ محلّ الوسيط البشري بثقة كاملة.

ابن عبد ربه: الطيف وسيطا رمزياً: (ابن عبد ربه، 1993م، ص 25)

سرى طَيْفُ الحبيبِ على البِعاد	***	لِيُصلِح بيْنَ عيْنِي والرُّقاد
فَباتَ إلى الصَّباحِ يَدي وسادٌ	***	لِوَجْنَتِه كما يَدُهُ وسادي
بِنَفْسي مَنْ أعادَ إليَّ نَفْسي	***	ورَدَّ إلى جوانحِه فُؤادي
خَيالٌ زارني لمّا رآني	***	عَدَتْني عنْ زيارتِه عَوادي
يُواصلُني على الهِجْرانِ مِنْهُ	***	ويُدْنِيني على طُولِ البِعاد

يتجلى الوسيط في هذا النص في صورة الطيف/ الخيال، وهو وسيط رمزي محض، إذ لا حضور حقيقي للمحبوب، وإنما حضور متخيّل يتولّد من عمق المعاناة الوجدانية. فالطيف "سرى" متجاوزًا المسافة، ليؤدي وظيفة إصلاحية واضحة في قوله: "ليصلح بين عيني والرقاد"، وكأن الفراق قد أحدث قطيعة بين العين والنوم، فجاء الطيف وسيطًا يعيد التوازن النفسي. يتجاوز الوسيط هنا مجرد نقل الصورة إلى أداء وظيفة تعويضية؛ فهو "يعيد النفس" و"يرد الفؤاد"، فيحلّ محلّ الحبيب ويقوم مقامه وجدانيا. وبذلك يتحوّل الوسيط من عنصر ناقل إلى معادل رمزي للحضور الغائب. ويبلغ هذا الدور ذروته في قوله: "يواصلني على الهجران منه ويدنيني على طول البعاد" إذ يجمع الطيف بين ضدين: الوصل والهجر، والقرب والبعد، وهو جمع لا يتحقق في الواقع، وإنما في فضاء الخيال. وهنا تتضح قيمة الوسيط الرمزي في الغزل، إذ يمنح الشاعر إمكانية تجاوز قيود الواقع وتحقيق التواصل في مستوى تخييلي. ومن ثمّ فإن الطيف في هذا النص يمثل بنية فنية قائمة بذاتها، تسهم في تعميق التجربة العاطفية وتكثيف بعدها النفسي، مما يجعله نموذجًا بارزًا للوسيط الرمزي في الغزل الأندلسي.

تطوّر الوسيط مقارنة بالعصور السابقة

عند عنترة: النسيم يحمل أثر المكان.

عند مجنون ليلى: الشمس تُهدي تحية متخيّلة.

عند ابن زيدون: البرق يُرسل، والنسيم يُبلّغ، ويسأل، ويتحرك.

أي أن الوسيط الطبيعي في الأندلس أصبح أكثر فاعلية، أكثر تشخيصا، وأقرب إلى أن يكون شخصية داخل النص. يتبيّن من خلال النماذج المختارة من مختلف العصور أن الوسيط الطبيعي والرمزي شكّل بعدا أساسيا في تشكيل التجربة الغزلية في الشعر العربي القديم، ولم يكن عنصرا عارضا أو زخرفيا، بل أداة فنية وجمالية تسهم في تعميق التعبير العاطفي وتوسيع أفق الدلالة. ففي العصر الجاهلي، ظهر الوسيط في صورتين واضحتين: وساطة الطبيعة كما في توظيف النسيم عند عنترة، ووساطة الخيال كما عند طرفة بن العبد، حيث بدأ الوعي يتشكل بقدرة العناصر غير البشرية على حمل العاطفة وتمثيل الحضور في ظل الغياب. وكان الوسيط هنا مرتبطًا بالبيئة الصحراوية وبالوجدان الفردي، في بساطة تعكس طبيعة المجتمع وشفافية التجربة. ثم تطوّر هذا الوسيط في العصر الأموي، حيث ازداد التصاقه بالحالة النفسية، وأصبح أكثر تعبيرا عن القلق والانتظار والتشوق، فصارت الشمس، والليل، والبرق، والغروب رموزا زمنية ونفسية، لا مجرد مظاهر طبيعية. وانتقل الوسيط من كونه حاملًا للأثر إلى كونه شريكًا في تشكيل المعنى. وفي العصر العباسي، اتسع البعد الرمزي وازدادت الصياغة الفنية تعقيدا، فتداخل الطبيعي بالتقافي، وأضحى الوسيط أداة تأمل واستبطان، تعكس رهافة الحس وتعمق التجربة الداخلية، في ظل حضارة أكثر ترفًا ووعيًا بالأسلوب. أما في العصر الأندلسي، فقد بلغ الوسيط الطبيعي ذروة حضوره الجمالي، حيث اندمجت الطبيعة الخصبة بالمشهد العاطفي، وأصبح النسيم، والبرق، والماء، والروض، عناصر نابضة بالحياة، تؤدي وظيفة مزدوجة: نقل الرسالة من جهة، وتجسيد الحالة الشعورية من جهة أخرى، حتى بدا

الوسيط أحياناً أقرب إلى كائن حي يشارك العاشق وجدانه. وبذلك يمكن القول إن الوسيط الطبيعي والرمزي تطوّر من أداة تعويضية عن الغياب إلى عنصر بنائي في تشكيل الخطاب الغزلي، يسهم في بناء الصورة، وتعميق الإيحاء، وتحقيق التوازن بين الواقع والمتخيل. فهو ليس مجرد ناقل للرسالة، بل جزء من بنية التجربة العاطفية ذاتها، ومرآة لتحوّلات الحس الجمالي عبر العصور .

النتائج

1/ تنوع الوسيط: ظهر الوسيط البشري في شكل الرسل والموصلين، والوسيط الطبيعي في العناصر البيئية (نسيم، ماء، برق)، والرمزي في الخيال أو الصور الذهنية.

2/ وظائف متعددة: يقوم الوسيط بنقل الرسائل، تجسيد العاطفة، وتعويض الغياب، وأحياناً المشاركة في تكوين التجربة الشعورية للشاعر.

3/ تطور عبر العصور : من بساطة الطبيعة والخيال في العصر الجاهلي إلى تعقيد الرموز البيئية والنفسية في العصر الأندلسي، مع زيادة وعي الشاعر بدور الوسيط في الخطاب.

4/ تداخل الرمزي والطبيعي: في العصور المتأخرة، أصبح الوسيط جزءًا من البنية الفنية للقصيدة، لا مجرد ناقل للرسالة.

التوصيات

1/ توسيع الدراسة لتشمل العصر الحديث والمعاصر لمعرفة استمرار تطور الوسيط في شعر الغزل العربي.

2/ دراسة الوسيط في شعر المرأة والشعراء الأقل شهرة لإثراء الصورة التاريخية.

3/ البحث في العلاقة بين الوسيط وبين السرد والموسيقى الشعرية لمعرفة أثره على الإيقاع واللحن الشعوري.

المصادر والمراجع

ابن خفاجة، الديوان، تحقيق السيد مصطفى غازي، دار المعارف، الإسكندرية، 1960م.

ابن زيدون، الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

ابن عبد ربه، الديوان، تحقيق: محمد التوبخي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

أبو نواس، الديوان، شرح وتحقيق محمد أنيس مهرات، دار مهرات للعلوم، حمص، ط1 ، 2009.

أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م.

الأعشى، الديوان، دار صادر، بيروت لبنان، 1977م.

بشار بن برد، الديوان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة الثقافة العربية – الجزائر، 2007م.

جميل بثينة، الديوان، تحقيق حسين نصار، دار مصر للطباعة، د. ت.

طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق درية الخطيب وآخرون، مجمع اللغة العربية – دمشق.

العباس بن الأحنف، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1978م.

عمر بن أبي ربيعة، الديوان ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، عبد العزيز شرف ، المكتبة الأزهرية مصر ، دت .

عنترة بن شداد، الديوان، تحقيق الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م.

عنترة بن شداد، جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي.

قيس بن الملوح، الديوان، رواية أبو بكر الوالي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1999م.

كثير عزة، الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1971م.

مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1972م.

albohtry-poet-https://www.aldiwan.net/cat